عاصفة القدر

قصة مصرية

على شاطىء النيل في اقليم (القربية) من هذا البر قرية ليس فيها من جبل ولكن روح الجبل في رجل من اهلها ، فاذا انت اعتبرتهُ بالرجال قوةً وضعفاً رأيتهُ ينهض فيهم بتكبير نهضة الجبل فيما حوله ، وهو بطل القرية ولواء كل معركة تنشب فيها بين فتيانها وبين فتيان القرى المتناثرة حولها ، ولا تزال هذه المعارك بين شبان القرى كأنها من حركة الدم الحر الفائح المتوارث فيهم من اجيال بعيدة يتحدر من جيل الى جيل وفيه تلك القطرات الثائرة التي كانت تغلي وتفور وهي كمدها لا تزال تفور وتغلي . ويلقبون هذا الرجل الشديد (بالجمل) لما يعرفونهُ من جسامة خلقهِ وصبره على الشدائد واحتماله فيها وكونهُ مع ذلك سليس القياد سليم الفطرة رقيق الطبع ، على انهُ ابطش ذي يدين ان ثار ثائره ، وله ايمان قوي يستمسك بهِ كما يتماسك الجبل بعنصره الصخري الا انهُ يخلطهُ ببعض الخرافات اذ لابد لهُ من بعض الجرائم الشريفة التي يحمل عليها فرط القوة والمروءة في مثله مع مثله . وليس في تلك القرية من بحر غير ان فيها شاباً اعنف طيشاً وعتواً من الموجة على بحرها في يوم ريح عاتية . حلو المنظر لكنهُ مر الطعم ، صافي الوجه لكن له غوراً بعيداً من الدهاء والخبث وهو ابن عمدة البلدة وواحد ابويهِ والوارث من دنياهما العريضة يبسط يديهِ على خمسمائة فدان وقد افسدتهُ النعمة واهانتهُ عزتهُ على اهله ، ولو اجتمعت حسنتان لتخرج منهما سيئة من السيآت باسلوب من الاساليب لما وسعها الا اسلوب نشأتهِ من ابويهِ الطيبين ، تعلَّم وهو يعرف انهُ لا حاجة بهِ الى العلم فجعلت تلفظهُ المدارس واحدةً بعد واحدة كأنهُ نواة ثمرة انسانية فاذا قيل لهُ في ذلك قال ان خمسمائة فدان لا تسعها مدرسة . . . . وذهب الى فرنسا يطلب العلم الذي استعصى عليهِ في مصر فأرهف ذلك العلم . . . . خياله وصقل حسهُ ورجع من باريس رقيق الحاشية خنثاً متظرفاً لا يصلح شرقياً ولا غربياً

وليس في تلك القرية غابة لكن فيها عذراء تلتفُّ من جسمها في رداء الجمال الطبيعي الرائع ولها نفسٌ اشدُّ وعورةً مما تنطوي الغابة عليهِ ، في ظاهرها الرونقُ الذي يفتن فيجذبُ اليها وفي باطنها القوة التي تلتوي فتدفع عنها . وهي ابنة عم (الجمل) واسمها (خضراء) وكأن فيها زهوَ خضرة الربيع ، ولم تكن تشق الا القوة فما يزين لها من الرجال الا ابن

عمها وهي شديدة الإعجاب به وانى إعجاب امرأة برجل من الرجال منتاح من مفاتيح قلبها

وكانت خضراء اجاهلة كسائر القرى بمدلتها تيلدة بارعة للطبيعة التي نشأت فيها وزاولت اعمالها فهي بذلك اقوى نفساً واشد مراساً من الفتيات المتعلمات إذ اتخذت شكلاً ثابتاً من اشكال الحياة والحياة هي صنعتها هذه الصنعة وأقامتها على هذه الهيئة على حين ان المتعلمات يُضعن ايام النشأة وسن الغريزة في التلقي عن الالفاظ والكتب وفي توهم الصور المختلفة للاجتماع دون مباشرتها وفي توقي اعمال الحياة بدلاً من مخالطتها فيؤول ذلك منهن الى قوة في التخيل قلما ترضى الحقيقة الانسانية المؤلمة حين تصادمها يوماً ما ولتم الواحدة منهن ولكن باعتبار انها تمت تلميذة للمدرسة لا امرأة للحياة بما فيها مما يجب وما لا يجب

وكانت خضراء اشبه بدورة النهار تفتح اجفانها على اشعة الفجر كل يوم ولا تزال نهارها في دأب وعمل فنفى ذلك عن اخلاقها ما يجلبهُ السكون من الخمول والميل الى العبث والدعابة وحصلت لها من الحياة حقيقة عرفت منها ان المرأة عامل من اكبر العوامل في النظام الانساني عليه ان يصبر على الكدّ والتعب اذا اراد ان يظهر بطبيعته الحقيقية لا بطبيعته المزوّرة المصنوعة ورأت الرجل يستأثر بجلائل الاعمال ولا يترك للمرأة الا كما يترك عقرب الساعات لعقرب الثواني في الرقعة التي تجمعهما . فهذا الصغير لا يبرح يضطرب في « دائرته الضيقة » يهتز من جزء الى جزء حتى اذا تم الدقيقة في ستين هزة كاملة ذهب الاول بفضلها كلها وخطا بها خطوة واحدة . ثم يعود المستضعف المسكين الى مثل عمله ولا يزال هذا دأبهما وان اكثرهما عملاً وتعباً هو اقلهما قيمةً وظهوراً . ولكن هذا الضعيف المغبون لم ينلهُ ما نالهُ الا من كونهِ هو وحدهُ الذي بني في هذا النظام على فضيلة الصبر والدقة ليكون اساساً للآخر . فعرفت (خضراء) كيف تقيد طبيعتها من تلقاء نفسها وتُمرها على الصبر والرضا والسكون الى حظها الطبيعي والاغتباط به إذ كان فضل الرجل على المرأة ليس في كونهِ اكثر منها فضلاً او اسباباً فضل بل في كونها هي اكثر منهُ حباً وتسامحاً وصبراً وايثاراً . ففضائلها الحقيقية هي التي جعلتهُ الافضل كما تجوع الام لتطعم ابنها

***

ورآها (ابن العمدة) ولما تمضِ ايام على رجوعهِ من اوربا وقد لبث هناك بضع سنين وكان عهدهُ بالفتاة صغيرة فوثبت الى نفسهِ في وثبة واحدة ورأى شباباً وجمالاً وروعة

زينتها في قلبه وسوّلت له مطمعاً من المطامع وجعلته يرى ما يرى بمعنى ويفهم منه ما يفهم بمعنى غيره

وكانت حين رآها واقفة على النيل تملأ جرتها مع نساء من قومها وهن يتعابثن ويتضاحكن كأن خصب الارض في ارواحهن أثر بادٍ فاذا ما اقبلن على النهر لشأن من شؤونهن تندّت روح الماء على ذلك الاثر فاهتزّ واهتزت المرأة به . فان كانت ذات سمرة من جمال رأيت لها رفيفاً كرفيف الزهرة حين يمسها الندى وذهبت تخرج في جسمها وقد خسرت عن ذراعيها ولمس الماء دمها الجذاب فارسل فيه تياراً من العافية والنشاط يحفل منها بقلب من يراها ان هو كان شاعراً يحسّ . فان كانت روح الرجل ظامئ ورأى المرأة على هذه الهيئة فما احسبه الا يشرب منها بعينيه شرباً يجد له في قلبه نشوة كنشوة الخمر . وكذلك وقعت الفتاة من نفس هذا الفتى فزينها له الخبث الذي فيه اضعاف ما زينها له الجمال الذي فيها وقذفها القدر الى قلبه ليخرج من هذا القلب تاريخ جريمة توقف يتأملها بعين أحدّ من آلة التصوير لا تفوتها حركة وسلّط عليها فكره وذوقه وايقظ لها في نفسه المعاني الرافدة فنصبت في قلبه عدة من تماثيل الجمال تجسّدت في كل واحد منها على شكل كأنما أفرغت فيه افراغاً

***

وكانت نفس ابن العمدة من النفوس الخيالية المتوثبة اذ قامت من نشأتها على ان تطلب فتجاب وتأمر فتطاع وتشتهي فتجد وكأنه ما خلق الا ليستعبد قلبي والديه وكانا معذورين لا يعرفان من علم التربية الاّ ان للحكومة مدارس للتربية وموسرين لا ينفكان من معنى الحاجة في هذه الدنيا الاّ انها الحاجة الى المال ومنقطعين عن النسل الاّ منه فكأنه لم يولدها بل هما قد وُلدا له . . . فله الامر عليهما من كونه لا امر لها عليه وبذلك أسرفا له من فضائل الرقة والحنان والاشفاق وما اليها وهي في نفسها فضائل ولكن متى أسرف بها الاباء على اولادهم لم تنشئ في اولادهم الاّ ما يكون من اضدادها كالشجر تفرط عليه الري فلا يحدث فيه الاّ اليبس والذوي وانما انت تسقيه الموت ما دمت تروّيه بمقدار من هواك لا بمقدار حاجته

ونشأ الفتى في احوال اجتماعية مختلفة جعلت من اخص طباعه تمويه نفسه على الناس والتباهي بالغنى والتنبّل بالاصدقاء والحاشية من وزرائه وعماله والتهيؤ بالثياب والازياء فانصرف باطنه الى تجميل ظاهره وردّ ظاهره على باطنه بالشهوات والدنايا واعانه على

ذلك انهُ جميل فاتن كأنما خلقت صورتهُ « لصفحة الخمسة » من قلوب النساء . وذلك ملكٌ عظيم لم يكن ابوهُ الرجل الطيب منهُ الاَّ كما يكون وزير مالية الدولة . . . . . ولما أُرسل الى باريس وقع منها في بلد عجيب كأنهُ خيال متخيل لا يؤمُّه رجل في الدنيا من كامل او ناقص وعالم او جاهل وشريف او ساقط الاَّ رأى فيهِ ما يملأ كل مداخل نفسهِ ومخارجها فهو قامت مدينة من احلام النفوس الانسانية في خيرها وشرها وطهرها وفجورها واختلالها ونظامها لكانت هي باريس . وانقطع الشاب هناك الى نفسهِ والى صور نفسهِ من اصدقاء السوء فلا أهل فيلزموهُ الفضيلة ولا اخوان فيردُّوهُ الى الرأي ولا خُلُق متين فيعتصم بهِ ولا نفس مرَّة فيفيءُ اليها ولا فقر . . . . فيجدُ لهُ حدوداً في الشهوات يقف عندها . وما هو الاَّ خيال متوقد ومزاجٌ مشبوب وتربية مدلَّلة وطبع جريءٌ ومالٌ يمرُّ في إنفاقهِ ومن ورائهِ أب غني مخدوع كأنهُ في بلد ابنهِ كرة الخيط كلما جذب منها مدت له مداً ، ثم ما هنالك من فنون الجمال ومُتَع اللذات واسباب اللهو مما يتناهى اليهِ فساد الفاسد وما هو في ذاتهِ كأنهُ عقوبةٌ مستأصلةٌ للاخلاق الطيبة ، فكان الشيطان الباريسيُّ . . . من هذا المكين في سمعهِ وبصرهِ ورجلهِ ويدهِ يوجههُ حيث شاء . وبالجملة فقد ذهب ليدرس فدرس ما شاء ورجع استاذاً في كل علوم النفس المختلة الطائشة وفنونها واضاف الى هذه وتلك كلمات يلوي بها لسانهُ من علوم واقاويل ليس فيها الاَّ ما يدل الحاذق على ان هذا الشاب لم يفلح قط في مدرسة

فلما وقعت (خضراء) منهُ ذلك الموقع وأخذت مأخذها في نفسهِ اعتدها نزوةً من نزواتهِ فما بمثلها ان يحب مثلها ولا هي كفايتهُ في شيء الاَّ ان تكون لهو ساعة من ساعاتهِ او حادثة تجري فيها حال من احوالهِ الغرامية . وحسبها امرأة ليس لقلبها ابواب تمتنع على مثله فقدَّر ان غناءه وفقرها يتسلمان بابًا وعلهُ وجهلها يحطمان بابًا آخر وجمالهُ وحدهُ يضعُ ما بقي من الاقفال عما بقي من الابواب ، وكان يحسب ان جمال المرأة من المرأة كالحلية من بائعها فكل من ملك ثمنها فليس بينهُ وبينها الا هذا الثمن . ولكن الايام جعلت تأتي وتمر وهو لا يزيد على ان يمرض لها وهي ترميهِ من صدودها كل يوم بداعية من دواعي الهوى . وكان لا يجد بنفسهِ قوة ان يزيدها على النظر شيئاً وترك لوجههِ وثيابهِ ونظراتهِ وغنائهِ ان تصل بين قلبهِ وقلبها بسبب فلم ينل طائلاً وتمادى في حبهِ واستولت عليهِ فكرة تغمرهُ بهذه المرأة ، اما هي فاشعرتها غريزتها بما في قلبهِ منها وكانت مسرَّة لان

عمها (١) فكانت تخشى هذا الشاب وتحذره حذراً شديداً وتتوهم ان الناس يحصون عليها النظرة والالتفاتة ويحصون عليه من مثلها ، ووقع في نفسها ان هذا الرجل شأناً غير شأن الرجال الآخرين فهم لا يستطيعون معها حيلة وهو يستطيعها بغناه ومنزلته

وكان للرجل خادم داهية قد تخرّج في مجالس القضاء ... من كثرة ما حكم عليه في تزوير واحتيال وغش وادعاء وانكار ونحوها وقد استخلصه لنفسه واتخذه مؤانساً ورفيقاً وجعله دسيساً (٢) الى شهواته الساقلة وكان يسميه فيما بينهما (إبليس) فلما اراد ان يرميها به قال يا سيدي هذه قضية احتيال عليها ، فاذا دخل ابن عمها خصماً في الدعوى كانت قضية احتيال على عمري انا . قال ويحك ايها الابله فأين دهاؤك ومكرك وانما ارسلك الى امرأة فقيرة عيشها كفافها وانت تعدها وتمنيها وتبذل عني ما شئت ، ومتى أطمعتها في المال فان هذا المال سيوجد ما يوجده في كل مكان فيشري ما لا يشرى ويبيع ما لا يباع . قال (ابليس) نعم يا سيدي وكذلك هو ولكن خوف العار يطرد حب المال ، . قال فانت اذن لا تقبل . قال ولا ارفض .... قال الشاب قاتلك الله لقد فهمت سأشتريها منك بثمنين احدهما لك والآخر لها ولكن أخبرني كيف تصنع معها ومن اين تبلغ اليها ؟ قال (ابليس) لما كنت في السجن عرفت اناساً فاتكاً أغبى قومهُ خبثاً وشراً وهذا السجن يحسبهُ الناس عقاباً وردعاً ومنهاةً عن الاثم على انهُ المدرسة التي تنشئها الحكومة بنفسها لتلقي علوم الجريمة عن كبار اساتذتها اذ لا يمكن ان يجتمع كبارهم في مكان من الارض الا فيهِ . فالسجن طريقة من طرق حلّ المشكلة الانسانية ولكنهُ هو نفسهُ يحدث للانسانية مشكلةً لا تحل . قال الفتى ويحك أين يذهب بك انما ارسلك الى المرأة لا الى السجن قال نعم ترسلني انت اليها ولكن لا يعلم الاّ الله أين يرسلني ابن عمها الى السجن ام الى المستشفى .... فاسمع يا سيدي . كان من نصائح استاذي في ذلك السجن ان الحيلة على رجل ينبغي لإحكامها أن يكون في بعض اسبابها امرأة والكيد لامرأة يجب ان يكون في بعض وسائله رجل .. صه . انظر انظر فالتفت الشاب فاذا (الجمل) مقبل يتكفأ في مشيته وكان غليظاً فاذا خطا شدَّ على الارض بقدميه وتكدّس بعضهُ في بعض ، وكان منطلقاً وقتئذٍ الى بعض مذاهبه فلما حاذاهما قال السلام عليكم فردّا جميعاً ورمى ابن العمدة بنظرة ثم مضى لوجهه فلم يجاوز غير بعيد حتى بلغهُ صوت الشاب يناديه يا فلان فانكفأ اليهِ فقال لهُ الشاب لقد بعُد عهدك بالقوة على ما ارى . قال فما ذاك؟

(١) عمدة لخطيته او كما يقولون ترات مع أهلها الفاتحة　(٢) جاسوساً وصاحب سر

قال اما بلغك ان فلاناً في هذه القرية التي تجاورنا سيقترن بزوجته بعد ايام وانت تعرف الموقعة التي كانت بين بلدنا وتلك البلدة يوم عرس فلان في السنة الماضية وكيف اندفعوا على اهل بلدنا وحطموا فيهم تلك الحطمة الشديدة ولولا انت ادركتهم ورميتهم بنفسك حتى دفعتهم عن الناس وسبقتهم الى سوق النعاج لكانت بلدنا اليوم اذل البلاد ولا استطالوا علينا بانهم غلبونا . ولقد حدثني صاحبي هذا كيف تلقيت بهراوتك يومئذ خمساً وعشرين هراوة فأضرتها كلها في جولتك وهزمت اصحابها بعد ان احاطوا بك وتكاثروا عليك فانت فخر بلدنا وصاحب زعامتها وما ارى لك الا ان تنتهز هذه الفرصة وتسرع الوثبة اليهم برجالك فتجزرهم في ارضهم صليعاً بصنيع مثلهم

فهز الجمل كتفيه العريضتين وقال بل سأنتظرهم في يوم عرسي بابنة عمي .... قال الشاب ابلغت ما ارى فانك لتخافهم . قال لا اخافهم ولكن اخاف الحكومة ان تؤخر يوم زواجي .... سنة او سنتين قال الفتى فان عملك هذا لا يشد من انفس رجالنا ولا بد أن اولئك سينتظرونكم و يُعدون لكم فاذا لم تناجزوهم في بلدهم عدّوها عليكم هزيمة من الهزائم وكأنهم ضربوكم بلا ضرب

قال الجمل هم لا يعرفون معنى الضرب بلا ضرب لانهم رجال والذي يضرب بلا ضرب لا يكون رجلاً ... والسلام عليكم ؟ ثم انطلق فلما ابعد قال الشاب لقد بدأت الحرب ولا بد لي ان احطم هذا الفلاح اللعين ولقد عرفت الآن من وجهه أن عينهُ عليّ ولست اشك في ان بنت عمي لا تمتنع بقوتها بل بقوته ولولا معرفتي انهُ من انحطاط الغريزة كالوحش في الدفاع عن اشاءهُ لـ .....

قال (ابليس) لقد تأملت القصة فرأيت انهُ لا سبيل لك الى الفتاة وهي بعدُ فتاة فاذا هو وصل الى امرأته قطعت انت بهذه الخطوة نصف الطريق اليها ... وستبلو هي من غلظته وخشونة طبعه ما يسهل لك ان تعلمها قيمة ظرفك ورقتك ، وستجد من سوء معاملته وقبح تسلطه ما يفتح قلبها لمن يأتيها من قبل الرفق واللين ، وستصاب عندهُ من ضيق المعيشة وقلتها وبسها ما يفهمها معنى ذلك العيش الخلو الخضير الذي تمرضهُ عليها ، ثم انهُ لابد مبتليها بغيرته العمياء بعد ما عرف من حبك اياها ، والغيرة منك هي توجدك بينها دائماً وتنبهُ المرأة اليك كما كرهت من رجلها شيئاً لا ترضاهُ

ولم تكن الا مدة يسيرة حتى اهديت المرأة الى زوجها وانما تجمل الزفاف ليأتي لهُ ان ينصب يدهُ القوية حجاباً بينها وبين هذا المفتون وليكتسب من القانون حقاً لم يكن لهُ من

قبل اذا هو مدّ هذه اليد وعصر في قبضتها تلك الرقبة التي تتطلع الى امرأته . ورأى الشاب ان هذه الحال لا تعتدل به وبخصمه معاً وكانت الغيرة تأكل من قلبه اكلاً وكان يعرض للمرأة كلما خرجت بمكتلها [1] الى السوق او بجرتها الى الماء لانه حينئذٍ يكون في الطريق الذي لا يملكه احد .... فكانت اذا رأته لم تزد على ما يكون منها اذا هي ابصرت حماراً يمد عينه اليها . فعمد الى امرأة مقينة تزف العرائس وهي التي زفت (خضراء) فأكرمها واتحفها وسألها ان تبعثه ببعض ما تحتال به وان تكون سبيله الى المرأة ، وتحمّل عليها (بإبليسه) حتى استوثق منها ، فكانت تحدث عنه امام (خضراء) تبهرها بذلك ان تلفتها الى نعمته وجماله ، ولكن المرأة اغلظت لها وسبتها وحذرتها ان تعود الى مثل كلامها وقالت لها آخر ما قالت : واعلمي اني لو دفعت الى طريقين وكان لابد من أحدهما ثم كان احدهما حصاة الدنانير وهو طريق العار والآخر حصباؤه الجر ويفضي الى الشرف اذن لتنزهت ان أدنس نفسي بالذهب ولتركت لكم قدميّ على الجر نثراً

والحب لا يبقى حياً ابداً فاما فاز فيزيد ورجع ملوّاً واما خاب فاضطرم وتحول الى حقد ونقمة وكذلك الفجر الشاب غيظاً ووجد على الحيلة موجدة شديدة واخذ يدبر رأيه فاتفقت له الحيلة ان يقتل الرجل الشهم بشهامته والمرأة العفيفة بعفتها فواطأ ابليسه على ان يدفع الى تلك المقينة منديلاً من الحرير عقد طرفه على دينار من الذهب تُلقيه في صندوق (خضراء) وتدسه في طي من أطواء ثيابها ، فذهبت المرأة وما زالت بخضراء تستطلعها وتعتذر اليها حتى استلّت ضغينة قلبها ثم سألتها ان تأتيها (بالعيش والملح) لتصيب كنفاها منه وتلتئم بحرمته ، فلما نهضت تأتيها أسرعت الخبيثة الى الصندوق فدست المنديل في ابعد مواضعه واخفاها وكان منديلاً بالعطر ليتمّ على نفسه اذا لم يتمّ احد عليه . ثم رجعت بما فعلت الى الشاب فأطلق خادمه يهمس لبعض اصدقاء الحمل انه رأى اليوم في يد (خضراء) ديناراً ذهباً على ندرة الذهب وعزته ، فجعل هذا الدينار يطير من نفس الى نفس بقوة الذهب الذي فيه والحب الذي اعطاه والجمال الذي أخذه ثم انتهى الى الحمل فكأنما حمله وطار به الى دارو كالمجنون وقد حمي دمه الحرّ وجاش جأشه العنيف ، ولم تكن امرأته في الدار فنثر ما في الصندوق وما كادت تعثر بالمنديل رائحة العطر حتى نفخ الشيطان بها نفخة الغضب الكافر ثم عثر على المنديل ورأى بصيص الدينار فداربه الارض وايقن ان العار قد طرق بابه وان الباب قد فتح له . ثم ردّ نفسه على مكروهها وردّ معها

(١) هو ما يسمى القفة

كل شيء الى موضعهِ وتلفف رأسهُ على جريدتين وخرج وروحهُ تُصرخ من ضربة بمنديل وهو الذي كانت تتهاوى عليهِ الضربات القاتلة تبشم منهُ ولا يتأوه

وذكر ان احمانه) التي من عبد قريب على ابن العمدة ووصفتهُ بالرقة والغنى فوجه اليها ان تأتي فتبيت عند امرأتهِ لانهُ على سفر ، وكان كالاعمى في ضلالتهِ لا يرى الاشياء الاَّ كما يخيلها في نفسهِ دون ما هي في نفسها فسألتهُ زوجتهُ اين ازمعت وما تبغي من سفرك وكم تلبثُ عنا فكأنهُ سمعها تقول : ارحل الى مكان بعيد وغب عنا زمناً طويلاً فلسنا الى غيابك حاجة شديدة . وكاد يبطش بها ولكنهُ كاتم صدورهُ الوعة وذكر اسم جهة بعيدة ومضى والانكسار يُعرف فيهِ

***

فزع الناس بعد ايام في جوف الليل فاذا بيتُ الجمل يحترق من ارضهِ وسمائهِ واقتحموهُ فاذا المرأة وابنها فحمتان ، وانطلقت اسرار الالسنة وقبض على الرجل في بلد اخرى وتولى ابن العمدة توجيه البينة عليهِ وشهد الشهود على الدينار وشهد الدينار على النار وأنكر «الجمل» ولم يقصر في اقامة الحجة ودافع عن امرأتهِ وبالغ في أمانتها وعفتها وشهد انهُ لا يعلم عليها من سوء وانها اطهر النساء وابرهنَّ ، ثم كان الحكم ان قضي عليهِ بالموت شنقاً

***

فلما كان يوم إنفاذ الحكم سئل الرجل عن شيء تريدهُ فطلب دخينة[1] فقدمها لهُ قيم السجن فأشعلها ونفخ من دخانها نفخة ثم اخذ يتكلم وعمرهُ يفنى مع الدخينة نفساً في نفس وعاد هذا الدخان المتطاير كأنهُ سحاب يسبح فيهِ الوحي بين حدود الدنيا وحدود الآخرة . قال المسكين : لم أتعلم ولو تعلمت ما وقفت هنا ولكن ربما كنت خرجت نذلا كبعض المتعلمين الذين يعيشون اشراقاً وفيهم ارواح القتلة واللصوص

لم أقرَّ لاحد بجريمتي خشية ان تذكر كلمةُ العار مع اسمي . وآثرتُ ان اموت بالشنق على ان احيا و يموت اسمي بالعار

ولكني سأعترف الآن امامكم وانتم الساعة على قبري فكونوا كالملائكة لا يشهدون بما عرفوا الاَّ عند الله وحدهُ

(١) وضعناها للحجارة وهي البق الالتقاط بها

أعترف اني قتلت زوجتي وانم وقد تقولون انهُ ليس من عمل الرجل ان يقتل امرأة فضلاً عن اثنتين . اني رجل سأشنق لان النساء فلا يشنقن وانما يرسلن الرجال الى المشنقة . . . . لم ار ابي اذ تركني طفلاً ولكن يقال انهُ كان رجلاً فانا رجل وابن رجل ولم يذلني رجل قط ولكن لو خلق الله قوة مائة جبّار في جسم رجل واحد لأذلته امرأة

انهُ ليس من شيمة الرجل ان يقتل النساء ولكن المرأة تذلُّ الرجل ذلاً يهوّن عليه قتل نفسه فكيف لا يهوّن عليه قتلها ؟

عدّوا المتعلمين ليصيروا في الشرف والامانة والعفة كرجل جاهل مثلي لا يرى للحياة كلها قيمة اذا كان فيها معنى العار و يقدم عنقهُ للمشنقة حتى لا ينكّس رأسهُ للذل

أصلحوا القانون الذي يحكم بالموت شنقاً و يزهق الارواح الكبيرة في حين تغلبهُ الارواح الصغيرة بحيلها الدنيئة

ومع ذلك سألقى الله وهو يعلم سريرتي ان كنت بريئاً او مجرماً

قيم السجين — يستقبلهُ طاهراً

السجين — اراأيتم مني خُلق سوء . أتعتقد عليَّ ذنباً مدة سجني ؟

القيم — كلنا راضون عنك

السجين — هذا مثل من اخلاقي والحمد لله على ان آخر كلة اسمعها من انسان على الارض كلة الرضا

. . . . . .

اشهد ان لا اله الاَّ الله وان محمداً رسول الله

***

نظرت ريشة من زغب العصفور الى النجوم فحسبتها ريشاً متناثراً فاستطت العاصفة وقالت : الى السماء ، ودارت بها العاصفةُ ما شاء الله ان تدور ثم رمت بها حيث وقعت لم تبالِ في موضع نفع ام ضُرّ . فأقبلت الريشة تستخفّ وتزعم انها فوضى ثائرةٌ لا حكمة في خلقها وان الرياح بعثرةٌ في نظام العالم . . . وكان الى جانبها شجرة تهتزّ ولا تطير . . . فلما وعت مقالتها اقبلت عليها فقالت ايتها الريشة ! إن الرياح لا تكون بعثرةً في نظام العالم الاَّ اذا كان العالم ريشاً كلهُ

مصطفى صادق الرافعي